

## 1377 - معنى التغني بالقراءة

### السؤال

سمعت أن هناك أحاديث تدل على مشروعية التغني بالقرآن ، فكيف يمكن أن نفهم هذه الأحاديث ؟

### الإجابة المفصلة

المعنى بالقراءة يعني :

1- تحسين الصوت بالقراءة مع الجهر بها بخشوع وترقيق وتحزن من غير تكلف ولا مبالغة .

فالمعنى معناه الجهر بالقراءة ، كما في صحيح مسلم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ما أذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به ) ، وأذنه من الإذن ، وفي رواية ( كاذنه ) وفيه أمر وحث على تحسين الصوت بالتلاوة .

والحديث نص في معنى التغنى ، فلفظ ( يجهر به ) بيان له . ومعنى الجهر : رفع الصوت بالقراءة وتحسينه بها فطرة لا صنعة ، يتزعم به ويطرد ، وقد كانت العرب قبل نزول القرآن تتغنى بالحداء ، إذا ركبت الإبل لقطع الطريق إذا جلست في أفينتها وغير ذلك .

فلما نزل القرآن الكريم أحب النبي صلى الله عليه وسلم أن يشتغلوا بالقرآن ، ويرفعوا به أصواتهم ويحسنوها ، وأن يجعلوا ذلك محل الغناء ، مع التزام صحة التلاوة ، فعوّضوا عن طرب الغناء بطرب القرآن ، كما عوّضوا عن كل محرّم بما هو خير لهم منه ، كجعل الاستخارة عوضاً عن الاستقسام بالأذالم ، والنكاح عوضاً عن السفاح ، وهكذا .

2- قد يراد بالمعنى : ما يشبه الطرب وإعجاب الآخرين دون تدبر ولا انتفاع ، ولا خشوع ، كما في حديث أشراط الساعة .

3- ويبعد أن يكون معنى التغنى : الاستغناء بالقرآن عن الناس لاختلاف المعنى وعدم قبوله لغة .

وهذا التغنى بالقراءة ينبغي أن يكون سليقة وفطرة لا تعليمًا وتدربيًا على قوانين النغم .

ذكر ابن القيم ، أن التطريب والمعنى إن كان فطرة من غير تكلف ولا تعليم ولا تمرين ، فهو جائز ، ولو أعاذه طبيعته بفضل تزيين وتحسين ، كما قال أبو موسى الأشعري للنبي صلى الله عليه وسلم ( لو علمت لحبرته لك تحبّرًا ) ، فلا بأس بذلك ، أما إن كان التغنى صناعة وتمريناً وأوزاناً ، فقد كرهه السلف ، وعابوه وذموه ، ومعلوم أن السلف كانوا يقرؤون القرآن بالتحزين والتطريب ، ويحسنون أصواتهم بشجى تارة ، وبشوق تارة ، وبطرب تارة ، وهذا أمر مركوز في الطياع .

توجيه معنى التغنى بالقراءة :

أ- أقول : إن حديث أشراط الساعة بطرقه ، وفتوى الإمام مالك فيهما والإشارة إلى منع القراءة بالألحان وقوانين النغم بما يخرج عن حدود التلاوة وصحة الأداء ويتعارض مع وقار القرآن ، وهذا لا خلاف في تحريمـه .

ب- أما حديث أنس وأبي ذر رضي الله عنـهما وغـيرـهما ، فهي أحـادـيث تـصـفـ قـرـاءـةـ الـخـواـرـجـ ، وـقـدـ كـانـواـ يـتـلـوـنـ الـقـرـآنـ آـنـاءـ الـلـيـلـ وـالـنـهـارـ ، وـلـمـ يـتـجـاـزـ حـنـاجـرـهـمـ وـلـاـ تـرـاـقـيـهـمـ ، لـأـنـهـمـ كـانـواـ عـلـىـ غـيـرـ عـلـمـ بـالـسـنـةـ الـمـبـيـنـةـ ، فـكـانـواـ قـدـ حـرـمـواـ فـهـمـهـ ، وـالـأـجـرـ عـلـىـ تـلـاوـتـهـ ، وـفـيـ الـأـحـادـيـثـ أـنـهـمـ كـانـواـ يـمـرـقـونـ مـنـ الـدـيـنـ كـمـاـ يـمـرـقـ السـهـمـ مـنـ الرـمـيـةـ ، وـالـأـمـرـ بـقـتـلـهـمـ وـأـنـهـمـ شـارـالـخـلـقـ ، وـأـنـكـ تـحـتـقـرـ صـلـاتـكـ إـلـىـ صـلـاتـهـمـ وـقـرـاءـتـكـ إـلـىـ قـرـاءـتـهـمـ ، وـهـذـاـ وـصـفـ لـلـخـواـرـجـ وـمـنـ كـانـ عـلـىـ شـاـكـلـتـهـمـ .

قال ابن تيمية : صـحـ الـحـدـيـثـ فـيـ الـخـواـرـجـ مـنـ عـشـرـةـ أـوـجـهـ ، خـرـجـهـاـ مـسـلـمـ فـيـ صـحـيـحـهـ ، وـخـرـجـ الـبـخـارـيـ طـائـفـةـ مـنـهـاـ ، وـالـخـواـرـجـ كـانـواـ يـكـفـرـوـنـ الـمـسـلـمـيـنـ بـالـذـنـوـبـ ، وـهـمـ أـهـلـ بـدـعـةـ ، وـتـأـوـيـلـ ، وـخـرـوـجـ عـنـ الـجـمـاعـةـ نـسـأـلـ اللـهـ الـعـفـوـ وـالـعـافـيـةـ فـيـ الـدـيـنـ وـالـدـنـيـاـ .

وـهـذـاـ وـصـفـ خـاـصـ بـالـخـواـرـجـ وـمـنـ عـلـىـ شـاـكـلـتـهـمـ ، قـرـاءـ الـيـوـمـ لـيـسـوـاـ مـنـهـمـ فـيـمـاـ نـعـلـمـ .

ج- وإن فـتـوـيـ الـإـمـامـ أـحـمـدـ تـتـعـلـقـ بـتـوـلـيـدـ الـحـرـوـفـ وـالـحـرـكـاتـ الـزـائـدـةـ النـاتـجـةـ عـنـ تـحـوـيـرـ الـحـرـوـفـ وـتـمـطـيـطـهـاـ ، وـالـخـرـوـجـ بـهـاـ عـنـ صـحـةـ التـلـاوـةـ ، وـهـذـهـ فـتـوـيـ مـبـالـغـةـ فـيـ الـكـرـاهـيـةـ ، كـمـاـ قـالـ الـقـاضـيـ أـبـوـ يـعـلـىـ ، فـهـيـ تـتـنـاـوـلـ مـنـ أـخـلـ بـالـأـدـاءـ ، فـزـادـ حـرـفـاـ ، كـزـيـادـةـ الـوـاـوـ وـالـأـلـفـ فـيـ لـفـظـ (ـمـحـمـدـ)ـ . فـيـنـطـقـهـاـ (ـمـوـحـامـدـ)ـ . وـهـذـاـ مـحـرـمـ بـاـتـفـاقـ . وـقـدـ كـانـ النـاسـ فـيـ عـصـرـ الـإـمـامـ أـحـمـدـ يـتـغـفـلـوـنـ بـالـشـعـرـ ، وـيـمـدـوـنـ الـحـرـوـفـ كـيـفـ شـاءـوـاـ ، فـكـانـ (ـإـسـحـاقـ الـمـوـصـلـيـ يـعـيـبـ عـلـىـ إـبـرـاهـيـمـ بـنـ الـمـهـدـيـ)ـ فـيـ ذـلـكـ ، لـأـنـهـ يـخـرـجـ الـأـلـفـاظـ عـنـ أـوـضـاعـهـ الـعـرـبـيـةـ . فـاـسـتـنـكـارـ هـذـاـ فـيـ التـنـفـيـ بـالـقـرـآنـ أـوـجـبـ ، وـلـاـ يـوـجـدـ مـثـلـ ذـلـكـ فـيـ عـصـرـنـاـ بـحـمـدـ اللـهـ .

د- قال ابن تيمية : الأـلـحـانـ الـتـيـ كـرـهـ الـعـلـمـاءـ قـرـاءـةـ الـقـرـآنـ بـهـاـ هـيـ الـتـيـ تـقـتـضـيـ قـصـرـ الـحـرـفـ الـمـمـدـودـ ، وـمـدـ الـحـرـفـ الـمـقـصـورـ ، وـتـحـرـيـكـ السـاـكـنـ ، وـتـسـكـيـنـ الـمـتـحـرـكـ يـفـعـلـوـنـ ذـلـكـ لـمـوـافـقـةـ نـغـمـاتـ الـأـغـانـيـ الـمـطـرـبـةـ ، فـإـنـ حـصـلـ مـعـ ذـلـكـ تـغـيـيرـ نـظـامـ الـقـرـآنـ وـجـعـلـ الـحـرـكـاتـ حـرـوـفـاـ فـهـوـ حـرـامـ .

الـجـمـعـ بـيـنـ أـدـلـةـ الـمـنـعـ وـالـجـواـزـ

وـلـيـسـ بـيـنـ أـدـلـةـ الـمـنـعـ وـأـدـلـةـ الـجـواـزـ تـعـارـضـ إـذـ التـحـرـيمـ يـكـونـ فـيـمـاـ يـخـرـجـ عـنـ مـقـتـضـيـ التـلـاوـةـ الصـحـيـحةـ ، زـيـادـةـ أـوـ نـقـصـاـ ، أـوـ إـخـلـاـلـ بـحـكـمـ لـازـمـ أـوـ وـاجـبـ ، أـوـ مـخـالـفـةـ التـوـاتـرـ فـيـ الـأـدـاءـ .

وـيـحـرـمـ أـيـضـاـ مـاـ يـقـرـأـ بـقـوـاعـدـ الـمـوـسـيـقـىـ ، وـلـوـ بـدـونـ آـلـةـ لـتـرـقـيـصـ الـصـوـتـ أـوـ تـرـعـيـدـهـ ، أـوـ تـكـسـيـرـهـ ، أـوـ التـرـنـمـ وـالـتـصـنـعـ لـمـرـاعـاـتـ الـمـقـامـاتـ الـخـاصـةـ فـيـ ذـهـنـ الـقـارـئـ أـثـنـاءـ التـلـاوـةـ .

وـالـجـواـزـ يـكـونـ فـيـمـاـ يـوـافـقـ صـحـةـ التـلـاوـةـ مـعـ تـحـسـيـنـ الـصـوـتـ بـهـاـ .

فإن أريد بالتلحين الزيادة أو النقص أو مخالفة التواتر في القراءة فهو لحن محرم ، وإن أريد به التغني بالقراءة ، لتطريب السادس وتحزينه ، وترقيقه واستعمالته مع التأمل والخشوع ، فهو المستحب ، ما لم يخل بمعنى ولا منبئ الكلمة ، ولا يتبع قواعد النغم .

قال السيوطي : قراءة القرآن بالألحان والأصوات الحسنة والترجيع إن لم تخرجه عن هيئته المعترفة فهو سنة حسنة وإن أخرجه فحرام فاحش .

وقال في شرح الرسالة: ويتحصل من كلام الآئمة أن تحسين الصوت بمراعاة قوانين النغم مع المحافظة على الأداء هو محل النزاع.

فمن العلماء من رأى أنه خلاف ما عليه السلف ولأن القاري ربما يغفل عن وجه الأداء ، فقال بعدم الجواز سداً للذرية .

وأما تحسين الصوت بالقرآن من غير مراعاة قوانين النغم فهو مطلوب بلا نزاع .

قال ابن قدامة : واتفق العلماء على أنه يستحب قراءة القرآن بالتحزين والترتيل والتحسين.

قلت : وهذا أخذ من حديث بريدة ( اقرعوا القرآن بالحزن فإنه نزل بالحزن ) وحديث ابن عباس ( إن أحسن الناس قراءة من إذا قرأ يتحزن ) هما ضعيفان والأول ضعيف جداً .